التقاليد الشرقية في مواجهة الحضارة الغربية
"بـــدوي في أوروبـــا"
أنموذجـــا

إعـــداد

د. محمد أحمد المجالي

جامعـــة مؤتـــة

قسم اللغـــة العربية

مقـدمـــة:

تشكل هذه الدراسة محاولة لرصد واقع العلاقـــة بيـن الشـــرق والغرب من خلال واحدة من أبرز الروايات الأردنية المعاصرة والموســـومة بـــ "بدوي في أوروبا" للكاتب جمعة حماد.

ولعل أهمية هذه الدراسة تأتي من كونها تطرح موضوعا مهما كـــان ولا يزال يشغل بال كثير من المثقفين العرب، وتجيب عن كثير من الأســـئلة المتعلقة بملامح هذا الصراع الحضارى وأبعاده.

وقد قدمت لهذه الدراسة بتمهيد تحدثت فيه عن الموقف من الـــتراث، وصور الحوار معه، ثم بينت موقف الروائيين العرب من فكرة اللقـــاء بيـــن الشرق والغرب وعرضت لبعض الأعمال الروائية المشهورة في هذا المجـــال ومنها "أديب" و"عصفور من الشرق" و " موسم الهجرة إلي الشمال" و "قنديـــل أم هاشم " و "قدر يلهو " و"ليلة في القطار" وغيرها.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثم فصلت القول في الرواية موضوع الدراسة "بدوي في أوروبا" فعرضت لأبرز الخطوط الرئيسة فيها، ثم جعلت الاهتمام محصوراً في عنصرين رئيسين هما: الشخصيات والصراع، وقد وقفت ضمن تناولي لهذين العنصرين عند بعض آراء النقاد والدارسين ممن تناولوا هذه الرواية بالدراسة والتعليق في مقالات محددة، واجتهدت في تفسير كثير من القضايا المتعلقة بتحديد طبيعة الصراع ودور بطل الرواية في رسم ملامحه، ثم تحدثت عن بعض العناصر الفنية التي ساهمت في تحديد ملامح هذا الصراع ومنها اللغة والحوار وغيرها من العناصر الأخرى.

يُشكّل التراث حصيلة ضخمة من التجارب والممارسات بأشكالها المختلفة ومناحيها المتعددة التي تهتم بالحياة الفكرية، فهو عميق الجذور في الأمم، لذلك فإنه يمثل فكرها وعقلها وشخصيتها، بل هو الذى يميز أمة عن غيرها من الأمم.

والموقف من التراث يجب أن ينطلق من حقيقة أن الأمة الحية تلك التي تستطيع أن تحافظ علي ذاتها القومية، وعلي أصالتها الثقافية في الوقت الذي تكون فيه قادرة علي تجديد أساليبها في الحياة باستمرار، فكما أن نمو الشخصية علي المستوى الفردي يتم بفعل قدرات موروثة وخبرات مكتسبة، وكذلك الشخصية القومية لا يمكن لها أن تنمو بدون تفاعل هذين القطبين، وهما بالنسبة لها التواصل مع التراث والتفاعل مع تجارب الأمم الأخرى ومن هنا تكون العودة إلي التراث بما فيه من عناصر الابتكار وما يحمله من حيوية والتعمق في الثقافات المعاصرة النماذج الإنسانية الحية مشروعة بهدف إقامة حوار بناء يأخذ من التراث ما هو قابل للحياة والتطور، ومن الحضارات الأخرى والثقافات المعاصرة ما هو جدير في أن يساعدنا علي الانتقال من حال التخلف إلي آفاق أكثر تقدماً[1].

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والحوار مع التراث يأخذ صورا عدة، فقد يكون تحليلا، أو تفسيرا أو تقديما لوجهه نظر جديدة فيه، أو رؤية جديدة له[٢]، ومن هذا المنطلق كانت هذه الوقفة مع رواية "بدوي في أوروبا" للقاص جمعه حماد.

وقد ارتأيت وقبل الخوض في هذه الرواية موضوع البحث أن اقف عند أبرز الروايات العربية الحديثة التي تعاملت تعاملا مباشرا مع موضوع الشرق والغرب، ذلك أن هذا الهم قد شغل الروائيين العرب منذ بدايات مرحلة التأسيس وحتى وقتنا الحاضر. ولعل من أبرز من تناول هذا الموضوع في إطار الرواية العربية الحديثة الأديب طه حسين في روايته "أديب" ، حيث صور أزمة الأديب الحساس المتمرد علي المألوف والسائد من الفكر والعادات والسلوك، بل من الأشكال الأدبية، وتتملكه رغبة عارمة في تجديد حياته والخلاص من الملل والرتابة اللتين تسيطران عليه، ولا يجد خلاصا من هذا إلا في طلب العلم وتثقيف نفسه، فيقع علي علم أوروبا وآدابها، ثم يتعلق أمله كله، بل حياته كلها بهذه الرغبة، ثم بهذه الفرصة التي أتيحت له للسفر إلي فرنسا، فقطع في سبيلها الروابط التي تربطه بأقرب الناس إليه، زوجته، بل أمه وأبيه، ثم هو ينسلخ من انتمائه إلي بلده ليربط مصيره بمصير الحضارة الأوربية كلها في النهاية، وبأول فتاة فرنسية يقابلها هناك.

وفي أوربا تلقى (أديب) السمات الإيجابية للحضارة الغربية، فوقع في هواها غير ملتفت إلي سماتها الأخرى، فلما واجهها أصبح عقله ونفسه ممزقين بين صراعات مختلفة، فخلفت الحضارة الأوربية في نفسه وعقله معا الفوضى الشاملة، فتحطما، وضاع نهائيا بالموت المعنوى قبل الموت الجسدى[٣].

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثم توفيق الحكيم في روايته "عصفور من الشرق" حيث تدور أحداثها حول (محسن) الشاب المصري الذي يسافر إلي فرنسا في طلب العلم، وتكون إقامته في باريس في منزل أسرة فرنسية من الطبقة الوسطى، وهنا يقع في حب عاملة فرنسية (سوزي) تعمل في شباك تذاكر أحد المسارح، وتتصل العلاقة بينهما فترة من الوقت، تعود بعدها وتنقطع إلي غير رجعة، ويكون محسن في هذه الفترة قد تعرف إلي عامل روسي (إيفان) الذى شاركه السكن، وكانا يقضيان كل لقاءاتهما تقريباً في حوار حول الحضارتين، الشرقية والغربية وما جلبته الحضارة الغربية بتقدمها المدني والعلمي من مشكلات لم يعرفها الإنسان من قبل ويعبر (إيفان)عن أشواقه الحارة لزيارة الشرق ولكن محسن لا يصارح صديقه بأن روحانية الشرق نفسه قد فسدت، ويحلم (محسن) الفتى الشرقي بحضارة عالمية تأخذ أفضل ما في الحضارتين من كل جميل ونافع وعلمي لتقدم للبشر نور السلام الدائم(٤).

ثم يحي حقي في روايته "قنديل أم هاشم" حيث يقضي (إسماعيل) بطل الرواية في لندن سبع سنوات، كان فيها مثالاً للتفوق النادر علمياً والبراعة الفذة عملياً، وحين عاد إلي مصر يكون أول ما يراه في ليلته الأولي عين فاطمة النبوية خطيبته، وقد أتلف الرمد جفنها وأضر بالمقلة، تعالجها أمه بقطرات من زيت القنديل "قنديل أم هاشم" وجنّ جنون إسماعيل، فأخذ الزجاجة من يد أمهّ في شدّة وعنف بعد أن سخر في حرارة من معتقداتهم، وطوحّ بها من النافذة ثم اتجه إلي المسجد وأهوى بعصاه علي القنديل فحطّمه، وأخذ علي عاتقه معالجة فاطمة، غير أن العلاج أخفق إخفاقاً ذريعاً، فقد ساءت الحالة وما أجدى في علاجها لا طبّه ولا طب زملائه، فهرب من البيت ثم عاد بعد فترة مطأطىء الرأس وسأل الشيخ دردير شيئاً من زيت

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

القنديل، ثم دخل البيت وفي يده الزجاجة ليبدأ العلاج من جديد ، علي خطة جديدة، قوامها العلم يسنده الإيمان(٥).

وغير هذه الروايات أيضاً هناك رواية "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس وهي من الروايات التي تعدّ صورة لالتقاء الحضارتين وما نجم عن هذا الالتقاء من تناقض بين قيم كل منهما في الفكر والسلوك، وقد حاولت الرواية أن تنقل لنا من خلال الشخصيات التي زخرت بها، صورة واضحة للحياة الجديدة التي يعيشها شاب عربي قدم من الشرق، ليستقر في قلب الحضارة الأوربية في باريس، فاختار المؤلف المرأة زاوية يتحدث منها عن طبيعة هذا اللقاء وذلك لأن قضية المرأة أقدر علي تمثيل القيم المختلفة التي تقدمها المجتمعات الشرقية، كالشرف والعرض والشهامة ونحو ذلك، كما أن في تصوير المرأة في كلّ من الشرق والغرب محاولة لإظهار ذلك الصراع الذي نشب في أعماق الشاب عن ممارسته لأسلوب جديد في الحياة.

وقد حاول سهيل إدريس تصوير هذا اللقاء من خلا تجربته الشخصية كطالب يُعدّ للحصول علي درجة الدكتوراه من جامعة السوربون في باريس، وبدلاً من اتخاذ المذكرات أو السيرة الذاتية شكلاً لهذه التجربة، فقد اختار الرواية ليقدم في إطارها هذه التجربة الشخصية(٦).

ونجد هذا الموضوع أيضاً في روايتيه "الخندق الغميق" و "أصابعنا التى تحترق" حيث صوّر فيهما المؤلف تجربته الذاتية أو تجربة بطله في فترتين خصيبتين من عمره، وعرض آثار الثقافة الغربية التي تبّناها، ليناقش مشكلات بطله في ضوءها(٧).

وهناك كذلك رواية "موسم الهجرة إلي الشمال" "للطّيب صالح وفيها يحصل (مصطفي سعيد) بطل الرواية علي بعثة إلي بريطانيا وينجرف خلف الإنجليزيات، فيصاحب ويخدع، ويصاحب ويكذب حتى جاءت من لم تستسلم

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

له استلام الأخريات فتزوجها ولم تستسلم له أيضاً فقتلها، وسجن سبع سنوات عاد بعدها إلي السودان واختار قرية الراوي ليقيم فيها ويتزوج من أهلها وينجب ولدين بعد أن ظل مخفياً شخصيته الحقيقية علي السكان، وفي ليلة من ليالي الفيضان يسلم (مصطفي سعيد) نفسه للمياه، ولكن الحياة بعده تستمر فيحاول "ود الريس" العجوز الذى جاوز السبعين الزواج بـ (حسنة بنت محمود) أرملة مصطفي سعيد ولكنها إذ تجبر علي الزواج لا تمكّنه من نفسها فتقتله ويقتلها، وحين تصل هذه الأخبار إلي الراوي الذى حب حسنة، لا يجد ما يغرق فيه أحزانه وثورته إلا النهر ، وتوشك مأساة مصطفي سعيد أن تتكرر لكنه في آخر الوقت يستعيد نفسه ويقرر الحياة ويختارها[٨].

وأمّا رواية "قدر يلهو" لشكيب الجابرى فهي قصة "قوس قزح" في مجمل أحداثها، كما أنها تشغل الرقعة الزمنية التي شغلتها، ولكن من خلال رؤية البطلة (إيلزا) نفسها، فبينما رُويت قدر يلهو من قبل البطل (علاء) فإن قوس قزح قد رُويت من قبل (إيلزا) [٩].

وهذه الرواية تتحدث عن شاب عربي يعيش في ألمانيا، تعشقه فتاة تدعي (إيلزا) وتصرّ علي حبّه بعد أن تركت بيت والدها بمجرد إساءة معاملتها، لتهيم في شوارع برلين باحثة عمن يحميها من السقوط، وعندما لمست شهامة علاء الشرقي العربي الذي يعتز بقيم الكرم والنخوة والشهامة، أصرّت علي الوفاء له، وقد جذبها إليه دون غيره، فوهبت له نفسها في اليوم السابع لتعارفهما لتحتفظ منه بجنين يخلّد ذكرى والده ويكون صورة صادقة عنه، وعلي الرغم من أنه تركها وعاد إلي بلاده دون أن يعدها بشئ فقد ظلّت وفية له، وشاءت الظروف أن تعمل راقصة في ملهي، وأن تلحق به في بيروت لتمتهن الرقص هناك ، فتلتقي به من جديد وتتوثق العلاقة بينهما بعد

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

انقطاع دام اثني عشر عاماً، حتى إذا فارقت الحياة تركت له صندوقاً أسود يحوي آثار ابنهما الراحل بداء السل (محمد علي)[١٠]

أمّا علي المستوى المحلي الأردني فقد طُرح هذا الموضوع في روايتين معاصرتين هما "ليلة في القطار" "لعيسى الناعوري" و "المتميز "لمحمد عيد" ، ففي الرواية الأولي يرصد عيسى الناعوري فارق النظرة بين رجل شرقي وامرأة غربية من خلال رحلة (سعيد العربي) إلي إيطاليا سنة ١٩٦١ حيث يجاهد سعيد مثل راهب، ويكبت مشاعره ورغباته، وفاء لزوجته المنتظرة عودته إلي الوطن، بينما تلح عليه المرأة الغربية وتحاصره علي الرغم من أنها متزوجة برغباتها طيلة عشر ساعات في عربة قطار ليلي، وينتهي الصراع بانتصار سعيد علي إغراءات المرأة، لأنه مستند إلي تقاليد قومه ، ويريد أن يقنع الغرب بأن صورة الشرقيين ليست تلك التي في "ألف ليلة وليلة"[١١].

وفي الرواية الثانية يرصد محمد عيد سلوك أحد أبناء المخيم الجامعيين (سامي) الذي رحل إلي ألمانيا وما لبث أن غرق في الحياة هناك، يعيش عالة وفي فراغ، يتعلم اللغة، ولا يتردد في ممارسة حياته مع امرأة ألمانية... ثم ينقل هذا الجامعي من طموح الراغب في الحصول علي الدكتوراه من بلد غربي، إلي رغبة اليائس من رحلته ويعبرّ عن ذلك بالعودة إلي بلده بعد أن يكتشف أنه لا يريد الدراسة، ويكتشف مساوئ المجتمع الغربي، لكنه لا يكتشف مساوئ ذاته، فهو يحمل مبلغاً من النقود يكفيه لسنين، لكنه ينفقه ولا يدرس[١٢].

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

" بـــدوي في أوروبـــا " ـ دراســـة تحـــليلية.

خطوط الروايـــة:

تتحدث رواية (بدوي في أوروبا) عن رجل يدعي "سويلم" نشأ نشـــأة بدوية خالصة في بئر السبع ثم أتيح له منذ السنوات الأولـــي فـــي حياتـــه أن يعمل دليلاً سياحياً وأن يتعرف إلي شاب ألماني يعني بالآثار، فتتوثق بينـــهما عري صداقة حميمة، ولا سيما أن ذلك الشاب الألماني كـــان يتكلـــم العربيـــة بلهجة قريبة من لهجة أهل تلك المنطقة، وكان متواضعاً محبـــاً لأهـــل تلـــك المنطقة، يشاركهم معظم عاداتهم البدوية" كان يتكلم العربية بلهجة تقرب مـــن لهجة سويلم، وكان نشيطاً متواضعاً لا يتعالي علـــى أهـــل تلـــك المنطقـــة، يشاركهم الطعام واحتساء القهوة، ويلف نفسه في حواماتهم في الليل، ثم ســـمي نفسه (عبد الله) تسهيلاً للنطق والتفاهم[١٣].

لكن الشاب الألماني ما يلبث أن يغادر المنطقة عائداً إلي ألمانيا بعـــد أن تلقي رسالة عاجلة من بلاده تدعوه إلي العودة من أجـــل المشـــاركة فـــي غمار الحرب العالمية الثانية، ثم تنقطع أخباره إلي درجة أن سويلم قد يئـــس من عودته "لقد وصلت أنباء الحرب إلي سويلم فـــي عشـــيرته ، ووصلـــت أحاديث الدمار والخراب عن طريق أجهزة الراديو التي يوزّعـــها الإنجلـــيز والتي لا تسمع إلا محطتي القاهرة والقدس علي أكثر مشايخ البدو" [١٤].

وبعد نكبه فلسطين عام ١٩٤٨ وبفعل أطماع الاستيطان الصـــهيوني يلجأ سويلم مع عشيرته إلي الضفة الشرقية مـــن الأردن، ويختـــار منطقـــة البتراء ثم خربة "قمران" مقراً له ليعود إلي مهنته دليلاً سياحياً كما كان مـــن قبل.

وفي منتصف الخمسينيات يلتقي الصديقان من جديد أثناء عودة بعثـــة الآثار الألمانية للتنقيب حول البحر الميت بعد غياب دام حوالي خمسة عشـــر

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عاماً، وتتوثق الصداقة بينهما من جديد، ويظهر سويلم وعشيرته من الكـــرم والاحترام لهذا الفريق الأثرى ما يشير إلي نبل أخلاق العربي في أي مكـــان " وبعد تبادل الابتسامات جرت مراسيم الوداع بين سويلم وجماعة عبـــد الله، ولولا اختلاف اللغة والزي لحكمت أن هؤلاء الناس أصدقاء قدماء من ديـــرة واحدة قد ذهبت الكلفة بينهم... وقفز سويلم علي جناح السيارة ليقود القـــوم إلي خربة قمران، ومن وراء الغبار الذي تنفضه عجلات السيارة وقف قـــوم سويلم ورجالهم ونساؤهم وأطفالهم يرددون في صوت واحد (مـــع الســـلامة .... مع السلامة) [١٥].

ثم يتحول إعجاب عبد الله بكرم سويلم إلي دعوة له ليرســـل أبنـــاءه للدراسة في ألمانيا علي نفقته الخاصة، فهو لا يزال أعزب، وحاله ميســـورة، فيشكر سويلم صديقه علي ذلك ويتلكأ في قبول عرضه، ثم يدعوه هو نفســـه لزيارة ألمانيا، وبعد تردد طويل ومعارضة شديدة من الزوجـــة والعشـــيرة، واستنكار من الجميع ، يقرر سويلم السفر إلي ألمانيا، ثم يلجأ إلـــي صديقـــه "سعيد" أحد أدلاّء السياحة في القدس ليعلّمه شيئاً عـــن عـــادات الأوروبيـــن وأمور لباسهم ومعاشهم، فيشيز عليه بطرح عباءته ويغريه بلبس بذله مثلـــهم فيوافق سعيد بعد طول تردد "قال سيعد: أنا أرى أن تلبس (بدلة) وتترك عنـــك العباءة جانباً إلا إذا أردت أن تكون فرجة لألمانيا لا أن تتفرج عليهم. فـــأحس سويلم بارتباك جديد، كيف يمكن أن يلبس مثل هذا المقعد الذي يتمنطـــق بـــه أهل المدن[١٦].

وحين جاء اليوم الموعود، كان عبد الله قد جهّز التذاكر وحدد ســـاعة السفر، وكانت لحظة الوداع من أصعب اللحظات في حياة سويلم، إذ اجتمـــع عليه القوم يودعونه وكأنه الوداع الأخير "كان القوم يودعون ســـويلم وكأنـــه الوداع الأخير ووقفت أم سليمان تطرد الدمع من عينيها بجلد وقوة وتمســـك

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بأطفالها وكأنها تعزّي نفسها أن بقي لها من زوجها هؤلاء الأبناء، كانت شبه جنازة ..... أحس بثقلها سويلم ، فوقف وقد أقبلت السيارة التي أرسلها إليه عبد الله من بعيد وقف يحدث قومه ويوصيهم من حياة أو من موت أن يحافظوا علي بعضهم بعضاً وقال لهم إن كثرة الوداع تمزق قلب المسافر، فلا يركب معي أحد ..... وحين وضع رجله في السيارة تلفت لهم وقال (وديعتكم أم سليمان وأولادها) (١٧).

وقد حرص الكاتب علي أن يقدم مشاهد طريفة من رحلته في الطائرة ثم نزوله في الفنادق الألمانية، واختلاطه بالناس هناك، وتعرّضه للكثير من المواقف المحرجة بعد أن تنقّل في أكثر من مدينة ألمانية، ولأن سويلم ظلّ متفرزاً من كلّ ما شاهده في رحلته تائرًا علي كثير من عادات الأوربيين وتقاليدهم فقد قرر فجأة العودة إلي بلاده مع أن برنامج رحلته كان يحتوى علي زيارة لبرلين وباريس، يقول سويلم لصديقه الألماني "يا صديقي أنا لا أحب أن أذهب إلي برلين، ولا إلي باريس، المناظر هي المناظر والناس هم الناس، وأنا فقط أغيب عن أولادى لا عائل لهم سواي ، لقد رأيت من هذه الدنيا ما فيه الكفاية، ورأيت من كرمكم ورعايتكم ما يجعلني مطوّق بجميلكم عمرى، لا تؤاخذني يا عبد الله ! لقد رأيت أحلاماً مزعجة ولا بدّلي من العودة حالاً (١٨).

وهكذا يضطر عبد الله أن يحجز له ويودعه في إحدى الطائرات مع كثير من الهدايا للأولاد فيعود سويلم وترتفع الزغاريد ويتحلّق القوم حوله فرحين.

يمكن اعتبار هذه الرواية رواية شخصيات، وليست رواية أحداث أو مكان أو زمان "فشخصية سويلم في هذه الرواية هي الشخصية الأولي، بل هي الشخصية الكبرى والأساسية والرواية كلّها تقريباً تحكي حكايته في وطنه

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

في فلسطين والأردن وفي زيارته لأوروبا من أولها إلي آخرها ، بما في ذلك من أحداث تقع له، وما يكون منه من مواقف تجاه هذه الأحداث وتفسير لها في فهمه واستيعابه" (١٩).

ولعل من أبرز عوامل التشويق في هذه الرواية أن "العنصر السائد فيها هو عنصراً لشخصية الإنسانية، وهو أمر قلّما نجده في رواية أردنية أخرى" (٢٠).

وقد تباينت مواقف الدارسين حول شخصية "سويلم" في هذه الرواية ، ففي حين رأي بعض الدارسين رجل بسيط وأن فكره ساذج (بتعبير جمعة حماد) وبدلالة أنه لا يعرف أنّ في العالم العربي مدناً غير القدس، ولا يعرف أن آلافاً قد سبقوه إلي هناك، وأنه لم يكشف حضارته ولغته وتراثه وموقفه من العالم(٢١)، فقد انتصر عدد من الدارسين لهذه الشخصية المهمة ورأوا أنها شخصية "تبدو في الحق نابضة بالحياة، واضحة المعالم، محددتها واقعية، بل موغلة في واقعيتها، وقد نجح القاص كل النجاح في سبر أغوارها منذ البداية واطلاع القارئ علي ما يعتمل في أعماقها من أحاسيس ومشاعر"(٢٢)، وأنها توّاقة" إلي المعرفة والبحث والسفر" (٢٣) إذ قرر سويلم التعرّف بعالم خلف البحار، وهو يقول لمن يلومه علي السفر من خلال منظوره الثقافي ولغته الدارجة ومعتقداته في الأساطير الشعبية: " وأنت يا من تعيرنني بالإسلام والإيمان بالله، هل منعنا الله من السفر والرحيل ومعرفة خلق الله في أرضه الواسعة، ثم أيمنعني خوف الموت والخطر من أن أسعى في مناكبها .... والدنيا قرُبت لبعضها يا جماعة، الواحد يفطر هنا ويتعشى في بلاد السند والهند ويتسحر عند يأجوج ومأجوج، من فوق هالمأخوذ التي تطير مثل البرق" (٢٤).

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثم إن سويلم كان "أكبر من سائح في رحلة، وأبعد غوراً من رجلٍ تأخذه الدهشة مما يرى" [٢٥]. وقد وضع فيه القاص "بذرة حب الاستطلاع والاستكشاف والتعلم ، فما أن طُرحت عليه فكرة الزيارة إلا وسارع لاغتنامها ، وكان من قبل يفكر بإرسال بعض أولاده إلي ألمانيا مع عبد الله لتلقي العلم وهو يقرّ بأثر العلم وتقدمه، وهو يرى فيه واحداً من حكماء الأقدمين أو بعض الرواد من الحكماء والأنبياء، وهو يندفع لزيارة البيئة المخالفة تماماً لبيئته"[٢٦].

وقد استغل بعض الدارسين عبارة القاص نفسه "وظلّت علامات الاستفهام تتراكم علي فكره الساذج" [٢٧]. ليربطوا بينها وبين ما ورد في الرواية من مواقف ساخرة ممثلة بموقف سويلم من الطائرة مثلاً" ولكنه نسي الجوازات واستجواب الأمن مرة واحدة أمام هذه الداهية الفاغرة فاها"[٢٨]. وموقفه من تفتيش الحقائب" وعندما وضعت حقائبهم علي الموازين قال سويلم في سرّه : اليوم كل شئ بميزان، وقد ظنّ أنه هو نفسه سيوزن"[٢٩] وموقفه من سكاكين الطعام :"فتفرس سويلم فيما أمامه عن الساكين وملحقاتها فوجد أنها ملفوفة في ورقة نظيفة ظنّ في الأصل أنها لون آخر من ألوان الطعام"[٣٠]. وموقفه أيضاً من العاملات في شركة المستر " وأدرك عبد الله الخطأ الذي وقع فيه ضيفه بتوهمه أن مجموعة النساء في الصالة هنّ زوجات مدير فرع الشركة" [٣١]. وموقف أخيراً من التلفون "ورنّ الجرس مرّة أخرى ، كان واضحاً أن الصوت يصدر من الآلة الصهباء أمامه علي مقربة من السرير ، فلم يمد إليها يداً، وخُيل إلي سويلم أنه لو مدّ يده لربما تحركت الغرفة أو حدث ما كان أعظم" [٣٢].

ولعل دراسة متأنية لمثل هذه المواقف في شخصية سويلم تؤكد للقارئ أنها قد شكلت جانباً إيجابياً مضيئاً في الرواية وليس جانياً سلبياً كما

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

اعتقد بعضهم، فقد كان الوصف الدقيق عاملاً مهما من عوامل نجاح توظيف هذه الشخصية في الرواية، ودافعاً قوياً إلي الإقرار بواقعيتها، ذلك أن القاص كان يلحّ علي مثل هذه المواقف ويفصّل في وصفها بحيث" بدا كل تصرّف تتصرّفه هذه الشخصية، وكل موقف تقفه خلال الرحلة إلي أوروبا مقبولاً معقولاً، وطبيعياً متوقعاً، ومنسجماً مع تركيبها النفسي، وتكوينها الفكري كلّ الانسجام، ولا أثر فيه لأي تكلف أو افتعال" (٣٣).

ثم إن سويلم في هذه الرواية كان متحضراً بالفطرة والغريزة، حساساً ذكياً يمتلك قدرة علي التفكير الحرّ، فهو لم يشاهد شيئاً في أوروبا لم يقل فيه رأيًا(٣٤) فقد كان علي امتداد الرحلة يسأل "عجيب أمر هؤلاء القوم ، يرسلون بناتهم إلي مثل هذا الرجل ليعشن معه داخل جدران مغلقة ثم لا يكن زوجاته... ترى ما عمل الزوجة إذن وما وظيفتها" (٣٥).

ثم يقارن" ترى هل هذه هي ليالي الأفراح عند القوم ، وهل هذا هو الرقص عندهم ؟ لقد أخذ يتذكر السامر (الدحية) في البادية، حين تغني النساء في الأفراح غناءً جميلاً يمدحن فيه الرجال الكرماء"(٣٦).

ثم يحاضر في الأوربيين "كان الرجال يتلفتون في وجوه بعضهم بعضاً وقد اكتست وجوه النساء حمرة أصيلة، وسويلم غارق في رواية القصة وتصوير حواشيها، ثم تحدّث عن (العبيّة) وكيف ظهر بيتها إلي حيّز الوجود، واستمر سويلم يتحدث عن الخيل والقوم وكأن علي رؤوسهم الطير، وقد أحسّ أنه وحده فارس الحلبة"(٣٧).

وأخيراً يرشد ويحاسب المخطئين من الطلبة العرب "كان سويلم يوشك أن ينفجر غضباً وكاد أن يعطي نفسه الحرية لمحاسبة هؤلاء الشباب علي هذا الانفلات ، علي أساس أنه أكبرهم، وأنه من بلادهم وأنه أولي بهم"(٣٨).

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وإذا كان أحد الدارسين قد أخذ علي سويلم أنه "احتفظ بتوازنـــه لأن عبد الله الألماني كان عينه وصديقه وطريقه" [٣٩].فإن القارئ المتمعـــن فـــي جزئيات الرواية يجد غير ذلك، فقد احتفظ سويلم بتوازنه" لأن فيـــه مقومـــات المناعة ضد عناصر الحضارة التي تهاجمه ليل نهار، وليس لأن عبد الله كـان عينه وصديقه وطريقه، فكم مرة دفعه إلي أن يرّفه عن نفسه ورفـــض مـــع بعض الفتيات الألمانيات اللواتي يرتمين عليه ليرقص معهن [٤٠].

وقد جاءت شخصية سويلم في هذا العمل "شخصية روائية كاملة" فهو يجسّد المفارقة الصارخة بين بساطة البداوة وتعقيد المدينة، بين التفوق المادي الساحق والانهيار المعنوى السحيق، بين فقر الروح في الغرب وفقر المـــادة في الشرق"[٤١]. ونجح القاص أيضاً في توظيف شخصية " أم سليمان" زوجـــة سويلم، تلك الزوجة التي كان لها الدور الأكبر في تحقيـــق الحـــرص الـــذي أظهره سويلم في ألمانيا في الحفاظ علي عادات قومه وتقاليدهم. لقد عاشـــت (أم سليمان) الصراع الحضارى دون أن تسافر، وقبل أن يسافر زوجها، لذلك قد كانت دائمة النصح والإرشاد لزوجها ولا سيما فيما يتعلق بقضايا الخمـــرة والنساء لأن ذلك في عرفها يتناقض ومبادئ التربية الإسلامية التي عاشـــتها وزوجها، لهذا فقد كانت تردد "تعلمهم وين يا سويلم، وراء البحـــر وألا عنـــد مغيب الشمس في بلاد الكفار ..... أهد بالله يا رجل ، أولادك أمانـــة كيـــف تعطيها الكفار وبتقول إنك مسلم موحدْ بالله وبتصلي كمان"[٤٢].

وتقول أيضاً مخاطبة زوجها: "اتحسب أنك تكون بعقلك أنت بتصـــير مجنون يا سويلم (تلهط) من هالخمرة واللي بيقولـــوا عنـــها (ويبـــكي) وإذا بعيونك حمر مثل عيون الجمل الهايج وتصبح تهدر ما تعرف الخمـــس مـــن الطمس ولا كوعك من بوعك ولا تفرق بين أختك وامراتك" [٤٣].

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وأما شخصية (عبد الله) فقد نجح القاص أيضاً في توظيفها داخل روايته لتساعد في رسم ملامح الصراع الحضاري بحيث جعلها شخصية مستوية ثابتة في معظم تصرفاتها، مهيأة لتقبل كل جديد، لذلك في نهاية الرواية تتخذ منحي جديداً بعد إعلانها عن الزواج من (مريم) الفتاة الألمانية التي كانت تمثل الهدوء والاتزان أثناء رحلة سويلم في أوروبا في جو لم يرض فيه سويلم عن سلوك النساء" وبعد أيام جاء سليمان إلي والده يجري يحمل معه من أريحا برقية لا يستطيع قراءتها فذهبوا إلي أحد المدرسين، الذي عرف أنها رسالة بالكلمات العربية، والأحرف اللاتينية هذا نصّها " تزوجنا بسنة الله ورسوله وسنزوركم"(٤٤).

وتبدو قيمة الرواية في طرحها لطبيعة الصراع بين نموذجين حضاريين يعيشهما الإنسان الشرقي والغربي، وطبيعة التناقض في النظرة للاشياء والقيم لدى كل منهما، وطريقة التصرف الاجتماعي من خلال الممارسات اليومية.(٤٥).

والصراع كما هو واضح في الرواية صراع سيكولوجي – فكري يدور بين تقاليد سويلم وعقيدته وبين مغريات حضارة الغرب الإباحية(٤٦) فسويلم حين يجد نفسه في بعض المدن الألمانية المتقدمة صناعياً وحضارياً فإنه يقع نهباً للمقارنة بين بيئته البدوية في الأردن وفلسطين وبين هذه البيئة الأوربية، بين البيئة المحافظة علي التقاليد والعادات والممارسات الدينية المتوازنة وبين البيئة المنطلقة من كل قيد في دروب تحقيق الذات المادية بجميع أبعادها ، فيأخذ في عقد المقارنات بين مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية في هاتين البيئتين(٤٧).

إن موقف سويلم من الحضارة الغربية يبدو منسجماً أعظم انسجام مع تركيب شخصيته النفسي وتكوينها الفكري، فهو منذ وصوله إلي ألمانيا يبهر

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بالتطور العمراني والصناعي الذي يري أنه انعكاس إيجابي لحقيقة التقدم العلمي في أوروبا، فهو مثلاً يعجب ببناء الفنادق في أوروبا وما فيها من محتويات فاخرة "وتلفّت" الرجل حوله بتعجب في هذه الفخامة وهذه الأسرّة الوثيرة وهذه البسط الوبرية، كيف ينام مثله في مثلها .... وسرح سويلم بخياله إلي بلاده، إلي صحرائه حيث لا أسرّة مفردة أو مزدوجة ولا مرايا تغطي الجدران ولا تلفون ولا هذه الأزرار. (٤٨). ويعجب أيضاً لحركة المركبات داخل شوارع أوروبا حيث "السيارات رائحة غادية لا حصر لها، تتحرك، ولا تكاد تسمع لها صوت، وتقف دون أن يشير لها شرطي، وإنما تأتمر بأمر فانوس سحري يعطيها إشارة فتمضي، ويلمح لها بإشارة أخرى فتقف"(٤٩).

ويبهره أيضاً سرعة إنجاز المعاملات دون تعقيد يذكر "لقد كانت الإجراءات بسيطة لم يحس سويلم بشئ غير عادى كما يحدث في بلاده كالتفتيش أو الأسئلة بل لم يستطع أن يفرق في المطار بين الموظفين والمسافرين إلا حين تجمعوا علي باب بناية المطار"(٥٠).

لكن هذه المظاهر البراقة لم تخدعه عن حقيقة التشويه البشري الذي يتمثل في الانحلال الخلقي وسيطرة المادة، وجنون الشهوة. لقد تعرف سويلم إلي بعض عاداتهم وتقاليدهم ولاحظ شيئاً من سلوكاتهم، فرفض كثيراً من هذه العادات، وعاب عليهم معظم سلوكاتهم، وأنكر كثيراً منها، ولعل من ابرز القضايا التي رفضها سويلم وثار عليها ظاهرة تفشي شرب الخمرة تلك الآفة التي كانت تُذهب عقول الناس في شتي المحافل " وكان الجماعة قد بدأوا يحتسون الشراب من الأواني الفخارية ..... وكانت الموسيقي تدندن وبين الحين والحين يرافقها صوت كالخوار، ثم يذوب هذا الصوت الغليظ ليبدأ

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

صوت ناعم أكبر الظن أنه لون من غناء القوم، لأن جماعته كانوا يميلون رؤوسهم مع موجات الصوت"[٥١].

ثم انفتاح العلاقة بين الرجل والمرأة بشكل فاضح ومشين "وانطلق من النظارة أزواج يمسكون بأيديهم والموسيقي تمضي وكل رجل وامرأة يقتربون ويقفون قبالة بعضهم ثم يمسكون بعضهم بعضاً بصورة عجيبة مذهلة" [٥٢].

وكذلك الإباحة الجنسية والشذوذ الفاضح الذي كان يمارس علي قارعة الطريق باسم الحرية الشخصية "وتلفت سويلم كالمستجد يا للفضيحة! وكان الناس علي حالهم يغدون ويروحون، وكانوا يمرون بجانب الفتي والفتاة لا ينظرون إليهما، وكأن الذي يحدث بينهما لا يلفت النظر[٥٣].

وأخيراً العزوف عن الزواج وعدم الاهتمام بالنسل وقف سويلم قليلاً، أخوات لعبد الله ؟ والتفت إلي صديقه ، لابد أنهن يزرنك بأبنائهن وبناتهن، يا سبحان الله، الأخت هي الحبيبة، جاءتك قبل جميع الأقارب، أنت لا شك عزهن .... ولكن عبد الله قطع عليه كلامه ليقول أنهن لم يتزوجن، وما أعتقد أنهن سيتزوجن في المستقبل بعد! لماذا؟ وكيف؟ ولكن عبد الله لم يتزوج هو الآخر ، ومضي إلي فراشه ليحلم بهؤلاء الناس الذين لا يتزوجون"[٥٤].

لقد تماسك سويلم أمام إغراءات الحضارة الأوروبية، وتشابكت مجموعة عوامل وحققت هذا التماسك وجعلت من سويلم مثلاً وقدوة في كل مواقفه، ولعل من أبرز هذه العوامل:

(١) الدافع الاسلامي:

ذلك الدافع الذي أضفي علي شخصية سويلم غني روحياً عميقاً، وجعلها تعود من أوروبا أكثر إيماناً، وقد تعددت ملامحه في ثنايا الرواية،

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فهو دائم الصلاة خلال رحلته "لقد صلي سويلم في الفندق دون أن يتحقق من القبلة" [٥٥] وهو يأنس بالمحافظين علي الدين حتى ولو كانوا من غير أهل دينه "فعرف من مجموع رطن صاحبه، أن هذه كنيسة أثرية كبيرة ومن أقدم الكنائس في أوروبا فانشرح صدر سويلم وهو يخط إلي الداخل، إذا فهذه بيت من بيوت الله"[٥٦]. وهو أيضاً مقتنع تماماً بأن عذاب الله آتٍ لا ريب فيه "إن الله يمهل ولا يهمل، إن الله يمدّ لهم الحبل إلي أن يمكنهم من الدرك الأسفل في النار[٥٧]. وأن يوم القيامة علي الأبواب "قال سويلم: هذا يا ابني آخر زمن بالتأكيد القيامة علي الأبواب وكيف لا تقوم القيامة عندما يكون كل سكان الأرض زناة"[٥٨] وهو دائم الخوف من عقاب الله عز وجلّ" أهذا عقاب الذي يقصد تلك الجلسة الملعونة مع بنات الهوى ! ويتفرج علي شاربي الخمو ، لا إله إلاّ الله قالها سويلم وهو يتمتم بأدعية وقد صغرت الدنيا عنده وكأنه يقابل يوم الحساب" [٥٩] وغير ذلك فهو مؤمن بالقضاء والقدر في كل سلوكاته" ضحك سويلم وقال: (المكتوب علي العين لازم تشوفه العين) يا عبدالله، سلّمها لله. وابتسم عبد الله وهو يتفرّس في وجه هذا الأعرابي السليم الفطرة الذي يصل به الاطمئنان إلي القضاء والقدر إلي هذا الحد"[٦٠].

وهو كذلك دائم الدعاء والاستغفار "لقد أشاح سويلم بوجهه وهو يستغفر الله ويستعيذ من الشياطين"[٦١].ويهزّ رأسه مؤمناً ويرد بكلام مسموع (يا ساتر يا رب)" [٦٢].

(٢) الدافع الغريزي:

المتمثل بالخوف من الخوض في كّل ما هو غير مألوف، وما ينتج عن ذلك من مواقف قد تكون مصدر قلق وإزعاج بالنسبة له ولأهله، فهو لم يشرب الخمرة مثلاً ليس لأسباب دينية فقط، بل خوفاً من انعكاساتها السلبية على الإنساني "كان سويلم يحفظ في نفسه صوراً مرعبة للناس حين تلعب

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

برؤوسهم الخمر فهم قد يرتكبون من الجرائم ما لا يخطر علي قلب بشـــر ، ولقد حاول سويلم أن يحتفظ بفكره سليماً كما كان"[٦٣].وهو لم يمارس الجنـس مع الفتيات لأنه كان يظن أن ذلك سينعكس سلباً علي أسرته " ولم يكن سـويلم من خريجي الأزهر أو أولياء الله قرّاء القرآن الذين لا يقربون بنات الـــهوى ولكن سويلم يخاف ..... كان سويلم يعتقد أنه لو اعتدى علي عرض فـــإن أحداً سيعتدى علي أم سليمان أو حتى ممكن أن يورث هذه (العملـــة) لبناتـــه فيتعدى عليهن المعتدون، أو أنه سيصبح فقيراً، وسويلم لا يحب الفقر"[٦٤].

(٣) الدافع الاجتماعي:

المتمثل بمحافظة سويلم علي العادات والتقاليد وهو ما أطلق عليه أحد الدارسين "قوة الثابت المستقر في التكوين" [٦٥] فقد ظلّ سويلم شديد الاهتمـــام بعادات أمته وتقاليدها، دائم الثبات عليها، رافضاً للخروج عليها بأي شكل مـن الأشكال، فهو حريص علي أن يكون أديباً خارج وطنه كما تعلّم منذ الصغر " وتصوّر سويلم أن ما يحدث الآن نُقل إلي جماعته هناك؛ فأحسنّ بهزة عنيفـــة وقال في نفسه الغريب لازم يكون أديب"[٦٦].

وحريص علي أن يعمل بكل نصيحة قدّمها له أهله" وحمـــد الله أنـــه أمسك بوصايا قومه ولم يشرب غير الماء الطهور" [٦٧]. وهو دائـــم الوعـــد بتقديم النذر إن هو عاد إلي أهلة سالماً "تذكر سويلم ذلك النذر الذي وعد بـــه أن يقدمه لله عند رجوعه سالماً" [٦٨].

ولعل أكثر التفسيرات دقة في هذا الموضوع، ما جـــاء علـــي لســـان الشاب الألماني عبد الله حين عزا هذا التماسك إلي أثر التراكمات في العـادات والتقاليد حيث يقول: "إن التحول الظاهرى والمظاهر المادية يمكـــن أن يتـــم بسهولة كهذا الذي يراه يتم مع سويلم، ولكن الذي يحتاج إلي الزمن ويحتـــاج إلي الوقت الطويل، هو التحول الداخلي ، أو التحول النفسي، إن سويلم حتـــى

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هذه اللحظة، لم يذق طعم الخمر، ولم يقرب امرأة علي كـــثرة المعـــروض، ولكن من يدرى، ربما خضع هذا البدوي للغريزة يومًا مـــا وتحطمـــت هـــذه القواقع الجامدة، التي تراكمت علي نفسية سويلم مع السنين"[٦٩].

وإذا كانت شخصية سويلم قد انطوت في صراعها مع هذه الحضـــارة علي أبعاد اجتماعية ودينية كما ذكرت سابقاً، فإن ثمة بعداً آخر لـــم يظـــهر بشكل بارز إلا في نهاية الرواية وهو البعد السياسي المتمثل بالصراع العربـــي الصهيوني، الذي جاء واضحاً في الرواية من خـــلال حديـــث القـــاص عـــن الأساليب المشينة التي كان يلجأ إليها اليهود في ألمانيا من أجل الإساءة لسمعة العرب وتشويه صورتهم في كل مكان.

وقد عاش سويلم هذا الصراع حين لاحـــظ أن بعـــض الراقصـــات اليهوديات يتعمدن الإساءة للعرب من خلال الكشف عن مغامراتهم في أوروبا وتضخيم حجم أفعالهم وتشويه صورتهم بطرق كثيرة.

"ولم يكن سويلم يدرك قيمة الدعاية وأثر تشويه سمعة العـــرب بيـــن الشعوب، وقال: ولكن من يصدق هذه المرأة، وهم يعرفـــون أنـــها يهوديـــة ويعرفون أن هذا الرجل غير عربي، قالت مريم : ولكـــن مشـــايخ العـــرب يفعلون كما قلت لك بعض الأخطاء والدعاية اليهودية تكبرها"[٧٠].

ولأن سويلم كان أحد ضحايا الاستعمار الصيهوني في فلسطين، حيث فارق أرضه في بئر السبع مرغماً، فقد تجسّدت أمامه المأساة أكثر مـــن ذي قبل وأدرك أن من واجبه العودة إلي الوطن من أجل تحريره والدفـــاع عنـــه "وحرك سويلم مجرد ذكر اليهود دمه، واستعرض في مخيلته وطنه ومســـقط رأسه، وتذكر فراره مع أهله وأحسن بالخجل من نفسه وأنه كـــان يجـــب أن يموت في أرضه قبل أن يرى هـــذه اليهوديـــة (تتمســـخر) علـــي مشـــايخ العرب... يا خسارة"[٧١].

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد وصل ذروة الموقف الإنساني في هذا الصراع عندما قال سويلم مخاطباً صديقه عبد الله "أين نحن من العوجا حفير وأين العوجا حفير منا يا عبدالله، لكأنك تذكرني بأنا هربنا، وأن العدو يحكمها الآن، رغماً عنا ..... لا بأس يا عبد الله إنها أيام ، إنها أيام وإني لأرجو أن تدوسني سياراتكم إن لم أعد إلي بلادي، يا عبد الله إن الدم لا يبلي بل تزيد قوته كلما تقدّم الوقت..... ولكن الحق معك ما كان لي أن أتفرج هكذا علي الدنيا وأسوح معك في بلاد الله الواسعة وأترك بلادى أسيرة في يد الأعداء"(٧٢).

لقد اختار القاص أسلوب السرد للتعبير عن موضوع روايته، حيث وصف الأحداث التي مرّ بها سويلم وتفاعل معها في جميع الأمكنة التي عاشها، وقد جاء البناء في الرواية محكماً متيناً ، وتطورت أحداثها تطوراً منظماً حتي وصلت إلي ذروتها حين قرر سويلم أن يعود إلي بلاده، وعلي الرغم من أن القاص قد اعتمد عنصر الحوار فيها، إلا أن هذا العنصر لم يشكل بعداً أساسياً في الرواية. وقد جاء في معظمه حواراً داخلياً مثّلته شخصية سويلم وبخاصة في المواقف الغربية التي كان يشاهدها لأول مرّة، وقد كان القاص حريصاً على تسجيل معظم المواقف الحوارية بالعامية لأنه كان يرى في هذا الجانب إثراءً للبناء الفني في الرواية.

وأمّا لغة الرواية فهي في ــ حدود تقديري ــ من أكثر العناصر التي خدمت القاص في تحقيق هدفه، فهي لغة مميزة في جميع جوانبها، اعتمد القاص فيها علي الجمل القصيرة المترابطة ، والتكرار الدال غير الممل، ولعل من أهم العناصر اللغوية التي أفادت القاص في هذا المجال وساعدته علي رسم ملامح الصراع الحضارى جمال الوصف ودقة التصوير، وقد سيطر هذا الاهتمام علي القاص في معظم أجزاء روايته، حيث كان يراوح بين الصور (الكاريكتورية) الساخرة والصور ذات الدلالات الجادة، ومن

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مثلتها في روايته قوله في وصف أثرياء الشرق: "أولئك الأثرياء من رجـــال الشرق الذين يقلدون الإنجليز في كلّ شئ، وفي نقل الغلبون بأسنانهم كما ينقل الكلب العظم"(٧٣)، وقوله في وصف مدير الشركة" ومن يمنع هـــذا الكبـش الذي يجول في وسط الغابة وحده من أن يتزوجهن واحدة بعد الأخـــرى"(٧٤)، وقوله في تصوير الفتيات الغانيات في ألمانيا" وهن يعوين كبنات آوى"(٧٥)

وقوله أيضاً في وصف حركات سويلم "لقد أخذ سويلم يقفز كـــالجندب من آخر الرصيف من الشرق إلي آخره من الغرب(٧٦). وغير التصوير فقـــد لجأ القاص إلي استخدام الألفاظ العامية في غير موقع في روايته، وقد كـــان لوجودها أكبر الأثر في توضيح فكرة المفارقة والمقارنة التي أرادها القـــاص ولا سيما أنها كانت تأتي دائماً علي لسان سويلم، إذ كان يجد فيـــها القـــاص ملاذاً جيداً لتوضيح طبيعة الصراع علي جميع مستوياته، ومن أبرز الألفـــاظ العامية التي تكرر ذكرها في الرواية (مذراة ، دراعة، لخمة، ينتش ، ينشـكح، التمرجية ، زنفيل ، لهط، الدحية، خربانة، زين، برغـــي، حنـــاتير،مزيقـــة، تفرفش، القزايز، مبهرة ،مسطول، الفالتين) (٧٧).

وغير الألفاظ العامية فقد اتكأ القاص أيضاً علي الفلكور الشعبي مـــن خلال توظيفه لكثير من الأمثال الشعبية الدارجة التي ساهمت فـــي توضيـــح موقف سويلم من الحضارة الغربية ومنها:

"الضيف اسير المحلي"

"كالأصم في الزفة"

"المكتوب علي الجبين لازم تشوفه العين"

"كل تأخيرة وفيها خير"

"مهلي ما بولي"

"عمر عواد ما يعودها"

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

"البلاد طلبت أهلها" [٧٨].

كما أنه كان يميل أحياناً إلي استخدام الشعر البدوي لتأكيد فكرته من مثل قوله:

لنّك لفيت ديار من غير أدلـــة ** حرصك ثلج القول مع كل هـــابي[٧٩]

وبعـــــــــــد

فقد جاءت هذه الرواية مميزة في مضمونها وشـــكلها ، تمكـــن مـــن خلالها القاص من التعبير عن موضوع ذي أبعاد سياسية واجتماعية ودينيـــة بكل صدق وواقعية، ورسم فيها ملامح الالتزام بجميع أشكاله، وبلغـــه فنـــة ذات تأثير مباشر ودلالات مختلفة.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الهـــوامـــــش

١- إسماعيل ملحم، العروبة (دراسة في وحدة الشخصية القوميـــة للأمـــة العربية) منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ١٩٨٧، ص ١٤٤.

٢- د. عصام بهي، الرحلة إلي الغرب في الروايـــة العربيـــة الحديثـــة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١، ص٥.

٣- انظر : المصدر نفسه ، ص ٤٦- ٤٨.

٤- انظر : المصدر نفسه ، ص ١١٩ -١٢٠.

٥- انظر: المصدر نفسه ، ص١٦٥ - ١٦٦.

٦- انظر : د. إبراهيم السعافين ، تطورّ الرواية العربية الحديثة في بـلاد الشام، ١٨٧٠-١٩٦٧، الجمهوريـــة العراقيـــة ، منشـــورات وزارة الثقافة ، ١٩٨٠، ص ٤٤٣.

٧- المصدر نفسه ، ص٤٤٥.

٨- انظر : الرحلة إلي الغرب في الرواية العربية الحديثة ، ص٥٧-٥٨.

٩- تطوّر الرواية العربية الحديثة في بلاد الشـــام، ١٨٧٠ - ١٩٦٧، ص ٢٢١.

١٠- المصدر نفسه ، ص٢٢٩-٢٣٠.

١١- د. خالد الكركي، الرواية في الأردن ، عمان ، ١٩٨٦، ص ١٢٩.

١٢- المصدر نفسه ، ص ١٣٠.

١٣- جمعة حماد، بدوي في أوروبا ، عمان ١٩٧٧، مطـــابع المؤسســـة الصحفية الأردنية، ص ٧.

١٤- المصدر نفسه ، ص ١٠-١١.

١٥- المصدر نفسه ، ص ١٩.

١٦- المصدر نفسه ، ص ٢٧.

١٧- المصدر نفسه ، ص ٣٠-٣١.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

١٨- المصدر نفسه ، ص ٢٣١.

١٩- جمعة حماد (حياته وفكره) ، وزارة الثقافة ، ط ١ ، عمـان ، ١٩٨٨، (د.عمر الساريسي، الجوانب الفنية والتعبيرية في قصة بـــدوي فـــي أوروبا) ، ص ٨٩.

٢٠- د. توفيق أبو الرب، رواية فكرية من الأردن (بدوي في أوروبـــا)، أفكار، عدد ١٩ ، ١٩٨٢، ص٦٠.

٢١- انظر:الرواية في الأردن ، ص١٣١.

٢٢- انظر فكرية من الأردن (بدوي في أوروبا) ، ص٦١.

٢٣- د. محمد عطيات ، القصة الطويلة في الأدب الأردني ، منشـــورات وزارة الثقافة، عمان ، ص ٥٧.

٢٤- بدوي في أوربا ، ص٢٤.

٢٥- إبراهيم العجلوني ، في عبقرية البساطة، (جولات فـــي فكـــر وأدب جمعة حماد) ، ط ١ ، المؤسسة الصحفية الأردنية، الرأي ، ص٤٩.

٢٦- جمعه حماد (حياته وفكره)، ص١١٥.

٢٧- بدوى في أوروبا ، ص١٢١.

٢٨- المصدر نفسه ، ص٣٦.

٢٩- المصدر نفسه ، ص٣٥.

٣٠- المصدر نفسه ، ص٤٦.

٣١- المصدر نفسه ، ص٦٨.

٣٢- المصدر نفسه ، ص٨٨.

٣٣- رواية فكرية من الأردن (بدوي في أوربا) ، ص ٦١.

٣٤- انظر: القصة الطويلة في الأدب الأردني، ص٥٩.

٣٥- بدوي في أوروبا، ص ٧٠.

٣٦- المصدر نفسه ، ص١٠٦.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

٣٧- المصدر نفسه ، ص١٨٤.
٣٨- المصدر نفسه ، ص٢٠٢.
٣٩- الرواية في الأردن ، ص ١٣١.
٤٠- جمعة حماد (حياته وفكره)، ص ٩٥.
٤١- القصة الطويلة في الأدب الأردني ، ص٦٠.
٤٢- بدوي في أوروبا ، ص٢٢.
٤٣- المصدر نفسه ، ص٢٥.
٤٤- المصدر نفسه ، ص٢٣٤.
٤٥- القصة الطويلة في الأدب الأردني ، ص٥٦.
٤٦- رواية فكرية من الأردن (بدوي في أوروبا) ، ص ٦١.
٤٧- جمعة حماد (حياه وفكره) ، ص١٠٧.
٤٨- بدوي في أوروبا، ص ١٤٨.
٤٩- المصدر نفسه ، ص١٥٧.
٥٠- المصدر نفسه ، ص٣٢.
٥١- المصدر نفسه ، ص١٠٢.
٥٢- المصدر نفسه ، ص١٠٥.
٥٣- المصدر نفسه ، ص١٥٩.
٥٤- المصدر نفسه ، ص١٨٩
٥٥- المصدر نفسه ، ص٦٥.
٥٦- المصدر نفسه ،١٦٢.
٥٧- المصدر نفسه ،٢٠٤.
٥٨- المصدر نفسه ، ص٢٠٨.
٥٩- المصدر نفسه ، ص١٣٥.
٦٠- المصدر نفسه ، ص١٣٦.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

٦١- المصدر نفسه ، ص١٢٥.

٦٢- المصدر نفسه ، ص٢٠١.

٦٣- المصدر نفسه ، ص١٢٥.

٦٤- المصدر نفسه ، ص١٢٨.

٦٥- في عبقرية البساطة (جولات في فكر وأدب جمعة حماد)، ص٥٠.

٦٦- بدوي في أوروبا، ص٩٥.

٦٧- المصدر نفسه ، ص١١٥.

٦٨- المصدر نفسه ، ص١٣٥.

٦٩- المصدر نفسه ، ص١٧٨.

٧٠- المصدر نفسه ، ص٢١٨.

٧١- المصدر نفسه ، ص٢١٩.

٧٢- المصدر نفسه ، ص١٨٠.

٧٣- المصدر نفسه ، ص٦٤.

٧٤- المصدر نفسه ، ص٦٨.

٧٥- المصدر نفسه ، ص١١٢.

٧٦- المصدر نفسه ، ص١٤٠.

٧٧- انظر هذه الألفاظ في الرواية مرتبة حسب ورودها في البحث في الصفحات التالية: ٤٦،٤٩، ٦٢،٦٤، ٦٧،٨٠، ٨٧،٩٥، ١٠٦،١١١، ١١٤، ١٣٦،١٦٩، ١٧٨، ١٨١، ١٨٣،١٩٤، ٢٠٦،٢١٩.

٧٨- انظر هذه الأمثال في الرواية مرتبة حسب وردوها في البحث في الصفحات التالية :٦٥، ١٠٢، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٤، ١٧٠، ٢٢٩.

٧٩- المصدر نفسه ، ص٧١

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مصـــــادر الدراســـــة

١- د. إبراهيم السعافين ، تطور الرواية العربيـــــة الحديثـــة فـــي بـــلاد الشام١٨٧٠ – ١٩٦٧الجمهورية العراقية ، منشورات وزارة الثقافة ، ١٩٨٠.

٢- إبراهيم العجلوني، في عبقرية البساطة (جـــولات فـــي فكـــر وأدب جمعة حماد) ط ١، المؤسسة الصحفية الأردنية، الرأي، عمان.

٣- إسماعيل ملحم، العروبة (دراسة في وحدة الشخصية القومية للأمـــة العربية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٧.

٤- جمعة حماد ، بدوي في أوروبا ، عمان ، ١٩٧٧.

٥- خالد الكركي، الرواية في الأردن، عمان ١٩٨٦.

٦- د.عصام بهي، الرحلة إلي الغرب في الرواية العربية الحديثة ، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١.

٧- د. محمد عطيات ، القصة الطويلة في الأدب الأردنـــي ، منشـــورات وزارة الثقافة ، عمان.

٨- وزارة الثقافة جمعة حماد (حياته وفكره) ط١ ، عمان ، ١٩٩٨.

الـــــــدوريـــات:

د.توفيق أبو الرب ، رواية فكرية من الأردن (بدوي فـــي أوروبـــا) ، مجلـــة أفكار، عدد ١٩،١٩٨٢، عمان.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ملخـــص

تسعي هذه الدراسة إلي رصد ظاهرة الصراع الحضاري بين الشـرق والغرب من خلال الوقوف عند واحدة من أبرز الروايات الأردنية المعـاصرة الموسومة بـ "بدوي في أوروبا" للقاص جمعة حماد.

وقد حاولت الدراسة تتبع مسار هذه الظاهرة منـذ بدايـات العصـر الحديث من خلال قراءة عدد من الروايات المتميـزة التـي تنـاولت هـذا الموضوع وأهمها أديب ، وعصفور من الشرق ، وقنديل أم هاشم ، وموسـم الهجرة إلي الشمال وغيرها.

وركّزت الدراسة في تناولها لرواية "بدوي في أوروبا" علي عنصرين أساسيين شكلاً البعد الرئيسي في الروايـة همـا: الشـخصيات والصـراع، وأظهرت أن القاص قد وفّق في توظيفه لشخصية "سـويلم" بطـل الروايـة للتعبير عن واقع الصراع الحضارى من خلال رفضه لكل مظاهر الحضـارة الجديدة ، وتمسكه بعادات أمته وتقاليدها ، كما نجح في رسم ملامح الصـراع بشقيه الداخلي والخارجي في كل أجزاء الرواية.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

Abstract

This study attempts to discuss the phenomenon of cultural struggle between the East and the West through one of the salient current Jordanian novels: "A Bedwin in Europe" by Jum'ah Hammed.

Making use of a lot of dishnguished novels that dealt with this topic like Adeeb, A bird from the East, Qandeel Un Hashim etc, the study tried to trace the track of this phenomenon since the beginnings of the modern age.

In approaching the novel "A Bedwin in Europe", the study facused on two salient features: the characters and their struggle. It showed that the narrator succeeded in employing the character "Sweilem", as the main character in the novel to express the essence of cultural struggle which was clear through Sweilem's refusal of the features of the new culture, and his adherence to his traditions. The narrator also succeeded in drawing features of both internal and external struggle.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com